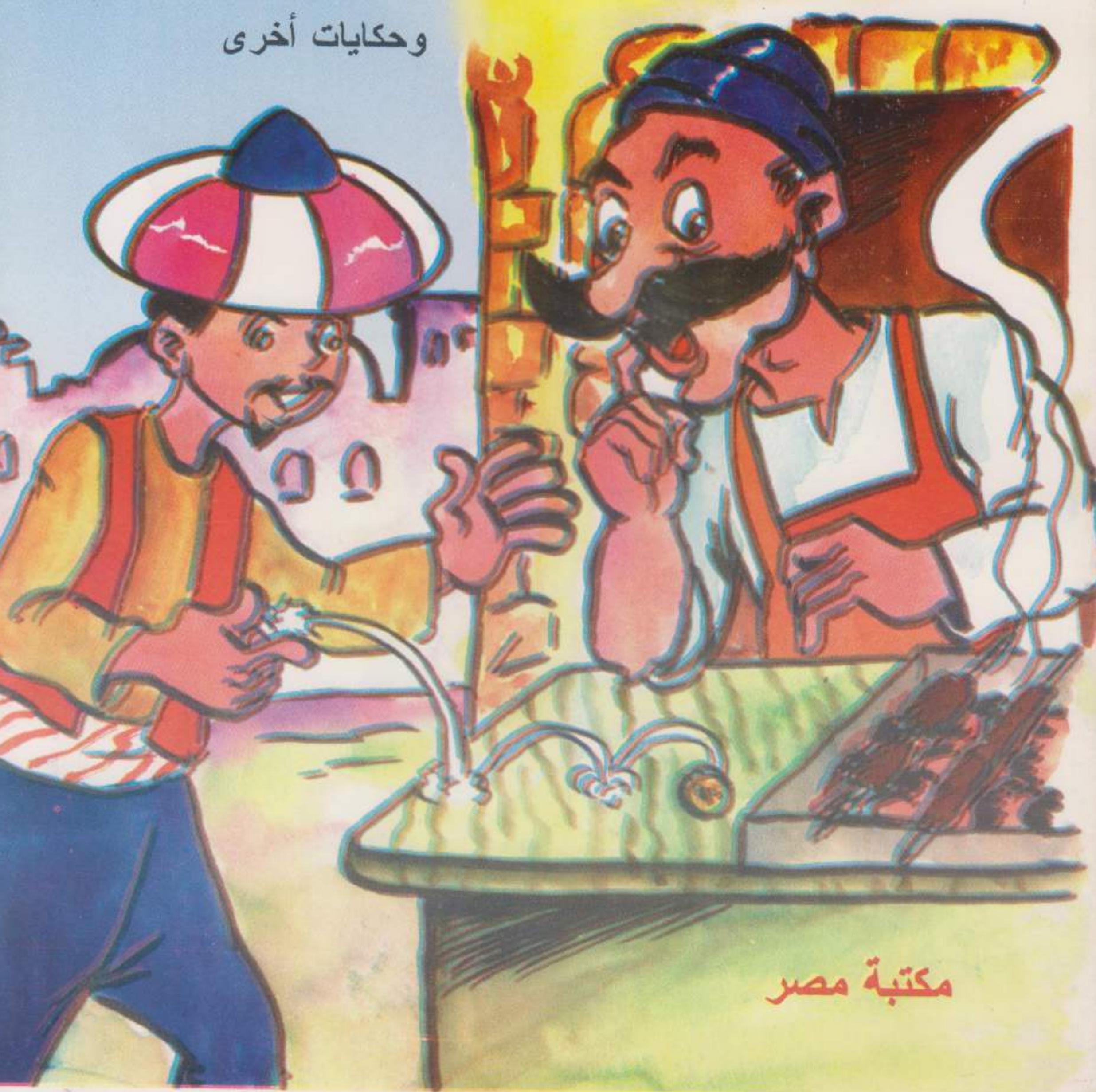
ألف حكاية وحكاية (٤٣)

يعقوب الشارونى

الرائحة والرنين

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٤٣)

الرائحة والرنين

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رســـــوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

أوصيك خيرًا بأولادى !!

كـانَ الحجـاجُ بـنُ يوسـف الثقفـى حاكمًـا علـى العـراقِ أيـامَ الأمويين . ورغمَ ما عُرِفَ عنه مـن الشـدةِ والقسـوةِ ، فقـد كـانَ كريمًا ، تمتلئُ موائدُهُ بأشهى المـأكولاتِ ، يُطْعِمُ منها ضيوفَهُ وغيَرهم من الفقراءِ وأبناءِ السبيلِ .

وذاتَ يـومٍ ، أتـى أعرابِـىٌّ مـن الصحـراءِ ، اعتـادَ الحيـاةَ الخشِـنَةَ الشاقَّةَ ، فدهشَهُ ما رآهُ على المائدةِ من أفضلِ أنـواعِ الطعامِ ، وأخـذَ يأكلُ بطريقةٍ لفتَتْ إليه أنظارَ الحاضرين !

وفى نهايةِ الطعامِ ، وضعوا طبقًا مـن أطباقِ الحلوى أثارَ فُضولَ الأعرابِىِّ ، برائحِتِه الزكية ومنظرِهِ الجميلِ ، فخاطبَ الحجاجَ قائلاً :

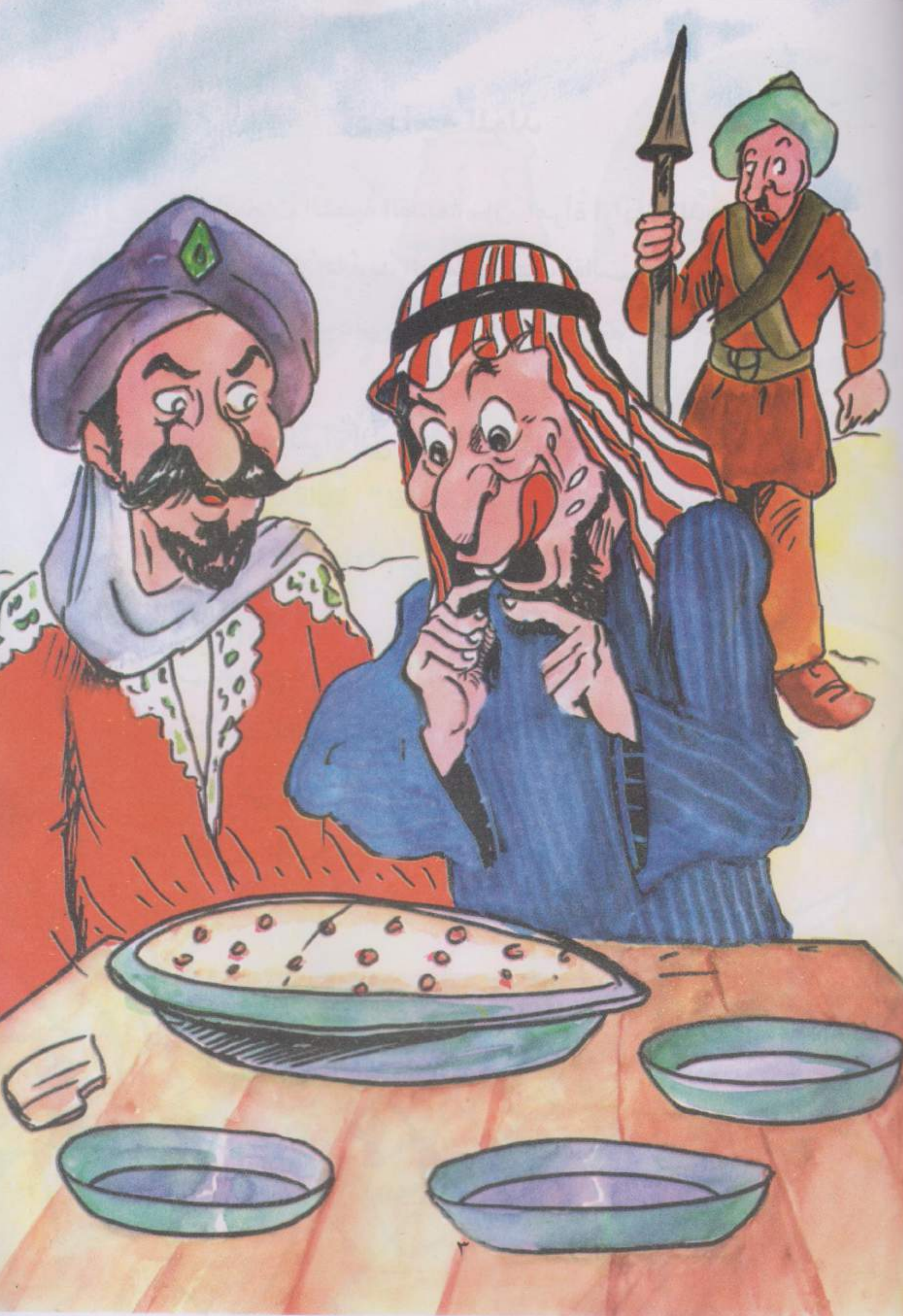
" ما اسمُ هذا الطعامِ يا مولاى الأميرَ ؟ "

أجابَهُ الحجاجُ : " هذا طبقٌ من الفالوذج (البالوظة) ، ولو أكلْتَ منه ، لضربْتُ عُنُقَكَ بسيفى هذا . "

فظهرَتِ الحيرةُ على وجهِ الأعرابِىِّ لحظةً ، وأخذَ ينظرُ إلى طبـقِ الفالوذجِ تـارةً ، وإلى سيفِ الحجـاجِ تـارةً أخرى . لكـنَّ حيرتَـهُ لم تطُلْ . فقد شمَّـرَ ساعدَهُ ، ومدَّ يـدَهُ إلى طبقِ الحلـوى وهـو يقـولُ :

" أوصيك خيرًا بأولادى يا أميرَ المؤمنين! "

فضحكَ الحجاجُ ، وعفا عنه !



دجاجة للولد

تقولُ الحكاياتُ الشعبيةُ القديمةُ ، إن امرأةً أرادَتِ الذَّهابَ إلى السوقِ ، فتَعلَّقَ بها ولدُها يُريدُ الذهابَ معَها ، فقالَتْ لَهُ : " انتظِرْ فى البيتِ يا بنى ، وبعدَ عودتى سأقدِّمُ لك من لحمِ الدجاجةِ طعامًا لذيذًا . "

وعندما عادَتِ المرأةُ إلى البيتِ ، رأتْ زوجَها يُمْسِكُ بالدجاجةِ ، فأسرعَتْ إلى إيقافِهِ قائلةً : " لقد كنْتُ أريدُ إسكاتَ الولدِ ، دون أيَّة نيَّةٍ حقيقيةٍ لإعدادِها للطعامِ . إنها تبيضُ لنا فى كلِّ يومٍ بيضةً . "

فقالَ لها زوُجها :

" أنتِ تعرفين أن الأولادَ يميلون إلى تقليدِ آبائهم وأمهاتِهم ، فإذا خدَعْنا طفلَنا مرةً ، سيتعلَّمُ منا الخداعَ ، ويستخدمُهُ فى معاملةِ الآخرين ، بل فى معاملتِنا نحن ! "

وبعد قليلٍ ، كانَتِ الدجاجةُ فى وعاءِ الطَّهْىِ !!





حكمة أم

قالَ أحدُ كبارِ علماءِ التربيةِ :

" أعرفُ إحدَى الأمهاتِ ، نجحَتْ كلَّ النجاحِ فى تربيةِ أولادِها.

لقدْ كانَتْ تنتهزُ أيَّةَ فرصةٍ لتمتدِحَ الاهتمامَ بالآخرينَ ، فى طفلِها الذى يتصفُ بالأنانيةِ !

أو تشيدُ بضبطِ النفسِ ، فى صغيرِها المندفعِ المتهورِ !

وعندَ لحظةٍ واحدةٍ من الهدوءِ ، تسرعُ لتقولَ للطفلِ كثير الحركةِ، الذى لا يكفُّ عن إقلاقِ راحةِ الآخرينَ ، إنها معجبةٌ بما يبدو من حسنِ سيطرتِهِ على تصرفاتِهِ !

وتهنئُ الفتاةَ الغارقةَ فى أحلامِ اليَقظةِ عندَ ما تَرى منها لحظةً من تركيزٍ أو اهتمامٍ !

وقد كانَ هؤلاء الصغارُ يصدقونَ ما كانت الأمُّ المُحِبَّةُ تُريدُهم أن يصيروا إليهِ ، فأصبحَتْ تلكَ هى أخلاقَهم مع الزمنِ . "



تفسح له الطريق

رأى " لنكولن " أحدَ الضباطِ الشُّبَّانِ يتجادَلُ جدالاً عنيفًا مع أحدِ زملائِهِ، فقالَ لَهُ : " إن الرجلَ الذى يسعَى إلى تحقيقِ آمالِهِ، لا يجدُ وقتًا يُضيِّعُهُ فى الخصامِ بدونِ فائدةٍ مع الغيرِ، فهو بذلك يدلُّ على أنه لا يقوَى على احتمالِ الشدائدِ، بدليلِ فقدِهِ السيطرةَ على نفسِهِ ."

وذكرَ له تشبيهًا يوضِّحُ وجهةَ نظرِهِ، فقالَ : " إذا كنْتَ فى طريقِكَ إلى عملٍ مهمٍّ، وقابلَكَ كلبٌ شرسٌ، فإنك تُفْسِحُ له الطريقَ خشيةَ أن يعضَّكَ، خيرًا من أن تقتلَهُ بعد أن يعضَّكَ، فإنَّ قَتْلَهُ فى هذه الحالةِ لن يُفيدَ شيئًا فى علاجِ عضَّتِهِ لكَ . "



الرائحة والرنــــين

وقف رجلٌ فقيرٌ قربَ بابِ دكانٍ يبيعُ صاحبُه اللحمَ المشويَّ . وكانَتْ رائحةُ الشواءِ الشهيةُ تفوحُ منه ، وكانَ الفقيرُ جائعًا ، فاشترى رغيفًا ، وجلس بالقربِ من دكانِ الشواءِ يأكلُ الرغيفَ .



وفجأةً خرجَ صاحبُ محلِّ الشواءِ إلى الفقير ، وأمسكَ به ، وصاحَ: " منذُ ساعةٍ وأنا أراقبُكَ . . . لقد وقفْتَ في بابِ دكاني وعطَّلْتَ الداخلين ، لتأكلَ رغيفَكَ مع رائحةِ شوائي . ادفعْ لي ثمنَ ما أخذْتَ من دكاني . "

ودهشَ الفقيرُ ، وصاح : " لكنني لم آخذْ شيئًا . . إنما شممتُ رائحةَ الشواءِ . . "

صاح صاحبُ الدكانِ : " وهل الرائحةُ لا شيء ؟! لولا الفحمُ المشتعلُ ، والدهن المتساقِطُ عليه ، لما أكلْتَ رغيفك . . . "



ثم أمسكَ بخناقِ الرجلِ ، وارتفعَ صياحُهما وهما يتشاجران .

فى تلك اللحظة ، كان جحا يقتربُ من المكانِ ، فسمعَ الصياحَ ، وسألَ عن سببِهِ ، فأسرعَ الناسُ يَدْعونَهُ أن يتقدَّمَ ليفصلَ فى هذا النزاعِ .

واستفسرَ جحا عما حدثَ ، فأسرعَ الفقيرُ يقولُ : " ياسيدى ، إن هذا الرجلَ يتَّهمُنى أننى أكلتُ رغيفًا على رائحةِ شوائه ، ويطلبُ منِّى أن أدفعَ له ثمنَ رائحةِ الشواءِ . "

فدهشَ جحا ، وسألَ صاحبَ محلِّ الشواءِ : " هل صحيحٌ ما يقولُه هذا الرجلُ ؟ "

أجابَ صاحبُ الدكانِ : " هذا حقِّى ، طالبْتُه به ! "

ففكر جحا قليلاً ، ثم قالَ :

" كم تطلبُ ثمنًا لرائحةِ شوائِكَ . . ؟ "

فقال البائع : " أطلبُ عشرين قرشًا . "

فأخرجَ جحا من جيبهِ قطعةَ نقودٍ فضيةً ، وأسقطَها عدةَ مراتٍ فوقَ لوحِ الرخامِ الَّذى يُغطِّى مدخلَ دُكّانِ الشواءِ ، فارتفعَ رنينُها عاليًا . ثم التفتَ إلى صاحبِ الدكانِ وقال : " هلَ سمعْتَ رنينَ النقودِ ؟ "

فقال صاحبُ الدكانِ : " نعم يا سيدى . . "

قال جحا : " هذا الرنينُ ثمنُ تلك الرائحةِ !! "



هذه حال الدنيا !!

فى حظيرةِ بيتِ العمدةِ ، بإحدى القرى ، كان يوجَدُ حصانٌ وحمارٌ . واعتادَ الحمارُ أن يحملَ كلَّ ما يحتاجُ أهلُ البَيْتِ إلى نقلِهِ، كما سمحوا للأطفالِ بركوبِهِ للتسليةِ . أما الحصانُ ، فكانوا يَعتنون بنظافتِهِ ، ويضعونَ على ظهرِهِ سرجًا فاخرًا ، ويزيِّنونَ رقبتَهُ بالشرائطِ المُلوَّنةِ ، ويملؤون معلفَهُ بالشعيرِ النظيفِ ، ولا يستخدمُهُ للركوبِ إلا أهمُّ أفرادِ الأسرةِ .

وذاتَ يومٍ وقفَ الحمارُ يشكو حالَهُ إلى الحصانِ ، قائلاً :

" إننى أقومُ بعملٍ لا تقلُّ فائدتُهُ عما تقومُ به أنتَ ، وكميتُه أكبرُ. ومع ذلك انظرْ كيفَ يُفرِّقون فى المعاملةِ بينى وبينَكَ . كلُّ الناسِ لا يتوقَّفونَ عن إظهارِ إعجابِهم بك وأنت تحملُ فوقَ ظهرِكَ الشخصياتِ المُتميِّزةَ . أما أنا فلا أحدَ يهتمُّ أن يُلْقِىَ نظرةً وأنا ألفُّ وأدورُ فى فناءِ الدارِ ، مُكتفيًا أن أسمعَ الأطفالَ يضحكون ويمرحون فوقَ ظهرى !! "

قالَ الحصانُ : " كلامُكَ صحيحٌ ، وحالُكَ لا يُرضينى، لكنْ هذه هى حالُ الدنيا .بلْ أنت تتميَّزُ عنى أيضًا بالصبرِ ، لكنَّ كثيرين يظنونَ أن الصبرَ معناه الرضا بالواقعِ مهما كانَ فى الواقعِ من ظلمٍ أو فسادٍ !! "



رغم النهر والجبل

اتفقَ صديقانِ أن يقوما برحلةٍ إلى مدينةٍ تاريخيةٍ مشهورةٍ ، فوقفا على قمةٍ عاليةٍ ، ونظرا إلى الطريقِ الممتدِّ أمامَهما ، فشعرَ الأولُ بالقلقِ وقالَ:

" الطريقُ صعبٌ ، والمسافةُ طويلةٌ ، وأمامنا نهرٌ واسعٌ يصعبُ علينا تَخَطِّيه . ومن المؤكَّدِ وجودُ غاباتٍ تكثرُ فيها الحيواناتُ المفترسةُ . وها هو الضبابُ يملأ السماءَ، فكيف نسيرُ والمصاعبُ تُحيطُ بنا من كلِّ جانبٍ . . ؟! "

فأجابَهُ الثانى : " لا تيأسْ يا رفيقى ، فإنَّ اللهَ معَنا .وقد نجدُ فى النهرِ الكبيرِ بعضَ الأماكنِ غيرِ العميقةِ التى يُمْكِنُنا العبورُ منها ، وقد نجدُ سفينةً تُساعِدُنا على عبورِهِ . وهذا الضبابُ الذى يغمرُ السماءَ لا بُدَّ له أن يختفِيَ . "

ولم ينتبهِ الرجلُ الأولُ إلى كلامِ صديقِه ، بل نظرَ إلى جبلٍ عالٍ، وقالَ : " وكيف نجتازُ هذا الجبلَ ؟!إنه نموذجٌ للمصاعِبِ الكثيرةِ التى سنلقاها وتعترضُ طريقَنا . "

فأجابَهُ صديقُهُ : " ومَنْ قالَ يا صديقى إن الحياةَ مفروشةٌ بالوردِ والرياحينِ ؟ إنَّ الإنسانَ لا يُعتَبرُ إنسانًا ناجحًا إلا عندما يستطيعُ التغلُّبَ على الصعوبات التى يُواجِهُها فى الحياةِ . "

فقالَ الأولُ : " أنا لا أستطيعُ مرافقتَكَ . "

وفضَّلَ البقاءَ فى مدينتِهِ . . .

أما الثَّانى ، فسارَ فى طريقِهِ . ورغمَ الصعوباتِ الكثيرةِ التى اعترضَتْهُ ، وصلَ إلى ما أرادَ ، وفازَ برؤيةِ المدينةِ المشهورةِ .



هل طلع الصبـــاح

ذاتَ ليلةٍ ، وقفَ أحدُ كبارِ الخُطَباءِ يُلْقِى خطبةً حماسيةً ، فوقفَ رجلٌ ليقاطِعَهُ ، وبدأ يَصيحُ كما يصيحُ الديكُ . وكانَ التمثيلُ مُتْقَنًا ، فضحكَ بعضُ الحاضرين ، وظهرَ كأنما سيضيعُ كلُّ أثرٍ للخطبةِ .

أمَّا الخطيبُ ، فقد توقَّفَ عن الكلامِ ، واستمعَ لصياحِ الرجلِ الذى يُقلِّدُ الديكَ حتى انتهى ، ثم نظرَ إلى ساعتِه ، وظهرَتْ على وجهِهِ علاماتُ الدهشةِ وقالَ:

"هل طلعَ الصباحُ ؟! إن ساعتى تقولُ إنها العاشرةُ مساءً ، لكن لا شكَّ أن ساعتى قد أخطأتْ ، فإن غرائزَ الحيواناتِ لا تُخطِئُ !!



صدر من هذا السلسلة

١ ـ كيس الخصام
٢ ـ طيران بغير طعام
٣ ـ النمر لا يهزم السلحفاة
٤ ـ أسد فى المطعم
٥ ـ كلمة سحرية
٦ ـ النحلة تقود العربة
٧ ـ جحا واللاشىء
٨ ـ عيد للجميع
٩ ـ نهاية ملك المزرعة
١٠ ـ انفجار فى معمل
١١ ـ الربح فى غرامة
١٢ ـ الأسد ورائحة فمه
١٣ ـ شاى وفطائر
١٤ ـ الآلة المتكلمة
١٥ ـ جرس الإنذار
١٦ ـ الأمير والحمام
١٧ ـ الخليفة ينقذ قطة
١٨ ـ القفزة الشجاعة
١٩ ـ يشرب ماء النهر كله
٢٠ ـ اعتداء المضحك
٢١ ـ قتلتنى يا شيطان
٢٢ ـ أم لا تخاف
٢٣ ـ لا خطر الآن
٢٤ ـ تغريد جحا
٢٥ ـ ذكاء المهرج
٢٦ ـ من يحبها أكثر ؟
٢٧ ـ لحم فى الهواء
٢٨ ـ الوهم الجميل
٢٩ ـ ذهب وعاد حافياً
٣٠ ـ أعظم يوم فى حياتى
٣١ ـ الشمس وعنقود العنب
٣٢ ـ سيدة الأزهار
٣٣ ـ حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ ـ تظاهر بالجنون
٣٥ ـ أذكى الأذكياء
٣٦ ـ القلب الذهبى
٣٧ ـ رجل فى الهواء
٣٨ ـ هزيمة أسد
٣٩ ـ أم فوق الجليد

دار مصر للطباعة

